

التبيان في تفسير القرآن

(402) وحسبتم (أنكم إلينا لا ترجعون) أي إلى الحال التي لا يملك نفعكم وضرركم فيها إلا الله، كما كنتم في ابتداء خلقكم قبل أن يملك أحدا شيئا من أمركم. ثم نزه تعالى نفسه عن كل دنس، واخبرانه (فتعالى الله الملك الحق) ومعناه: علا معنى صفته، فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم الله تعالى بأن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته. (والملك الحق) هو الذي يحق له الملك، بأنه ملك غير مملك، وكل ملك غيره، فملكه مستعار له، وإنما يملك ما ملكه الله، فكأنه لا يعتد بملكه في ملك ربه، والحق هو الشيء الذي من اعتقده كان على ما اعتقده، فالله الحق، لانه من اعتقد انه لا إله إلا هو، فقد اعتقد الشيء على ما هو به. وقوله (رب العرش الكريم) أي خالقه، ووصفه العرش بأنه كريم تعظيم له باتيان الخير من جهته، بما دبره الله لعباده، والكريم في أصل اللغة القادر على التكرم من غير مانع. ثم قال " ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به " ومعناه إن من دعا مع الله إلها سواه لا يكون له على ذلك برهان ولا حجة، لانه باطل، ولو دعا الله ببرهان لكان محقا، واجري على ذلك قوله " ويقتلون النبيين بغير حق " (1) وقول الشاعر: على لاجب لا يهتدى بمناره (2) وقوله " فانما حسابه على ربه " يعني الله الذي يبين له مقدار ما يستحقه من ثواب أو عقاب. ثم اخبر تعالى بأنه " لا يفلح الكافرون " يعني الجاحدين لنعم الله، والمنكرين لتوحيده، والدافعين للبعث والنشور. ثم امرنبيه (صلى الله عليه وآله) فقال له " قل " يا محمد " رب اغفر وارحم " أي اغفر الذنوب، وانعم على خلقك. " وانت خير الراحمين " معناه افضل من رحم وانعم على غيره، واكثرهم نعمة وأوسعهم فضلا. _____ (1) سورة 3 آل عمران آية 21 (2) انظر 2 / 356، 423 و 6 / 213 (*)